بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد الله على توفيقه، وأُصلي وأُسلّم على نبيه الكريم، وآله وأصحابه الطاهرين، وبعد

إنّ الدراسات الصرفية – الصوتية، هو إتجاه سلكته الدراسات اللغوية الحديثة في كل لغات العالم، وهذا البحث المتواضع، الذي أرجو أن يكون لبنة صغيرة في جدار العربية الشامخ، وأن يُنتفع به بفضلٍ من الله، ما هو إلا محاولة لأدلو بدلوي في هذا المسلك الشائك، فتناولت ظاهرة المخالفة – وهي ظاهرة صوتية، وتتبعتها في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة في العربية وغيرها، واتبعتها بدراسة عملية تطبيقية في الأفعال الرباعية المجردة، والأفعال الرباعية المكررة، وانتهت الدراسة بمحاولة للوقوف على الأصوات التي يقع فيها الابدال في ضوء هذه الظاهرة.

وأكبر عقبة واجهها هذا البحث، هي عدم وجود دراسات سابقة بحثت في هذه الظاهرة، فهذا البحث هو جديد في العنوان والمنهج وجمع المادة.

وانتهجت في دراستي هذه منهجاً علمياً محدداً، فقبل البدء بالعمل كان لابد من الوقوف من عملي موقف الباحث المتجرد عن كل غرضٍ وهوى، وينبغي ان يكون اسلوبي اسلوباً علمياً دقيقاً؛ لأن نتائج كل نشاط عقلي رهن بمبلغ تملك الموضوع مشاعر الباحث وعقله وبمبلغ الأمانة والدقة في الاسلوب المتبع.

وبعد انتهائي من جمع المادة، شرعت في الكتابة على اساسٍ خطة تقسم البحث على بابين: الأول دراسة نظرية والثاني دراسة تطبيقية، والدراسة النظرية تشمل تمهيداً وثلاثة فصول، والتطبيقية اشتملت على فصلين.

وفي الفصل الأول (المخالفة: دلالتها، وصورها، وأسبابها) قدمنا فكرة عامة عن المخالفة، ودلالتها وتسمياتها عند المحدثين، وصورها وأسبابها التي قدّمها علماء العرب والغرب.

وفي الفصل الثاني (المخالفة في غير العربية) تناولت المخالفة في اللغات الحية والمقصود بها اللغات الاجنبية، واللغات القديمة وهي اللغات الجزرية، فتناولنا بشكل موجز صور المخالفة في اللغات غير العربية والأصوات التي تدخلها المخالفة، وختمنا الفصل بدراسة صوتية ميسرة للاصوات التي وقع فيها الابدال.

وفي الفصل الثالث (المخالفة في العربية) تعرفنا مادة المخالفة وتسمياتها عند علمائنا العرب القدماء، وصور المخالفة في العربية، والأصوات التي تعرض لها المخالفة.

أما الباب الثاني وهو الدراسة التطبيقية فيشمل فصلين.

كانت المادة الصرفية مادة الفصل الأول، وأعدّهُ أساس الرسالة وقلبها، وهو أولُ فصلٍ في الدراسة التطبيقية، واستغرقَ العملُ في هذا الفصل سنةً كاملةً فقد جمعت ماوقفت عليه من الجذور الرباعية المجردة، والجذور الرباعية المكررة، والأفعال الرباعية المكررة الحرفين الأخيرين من (لسان العرب) واستدركت عليه عدداً من الأفعال من كتاب (الافعال) لابن القطاع،ثم استدركت عليه (٢٧) فعلاً رباعياً مكرراً من (تاج العروس) عن طريق فهرسة كل من الدكتور علي حلمي موسى والدكتور عبد الصبور شاهين لتاج العروس باستخدام الحاسوب، وبعد انتهاء الجمع اقتضت طبيعة المادة المجموعة أنْ يقسم الفصل على بحثين:-

المبحث الأول: المخالفة في الافعال الرباعية المكررة.

والمبحث الثاني: المخالفة في الافعال الرباعية المجردة والافعال الرباعية المكررة الحرفين الثالث والرابع، وبالاستعانة بتقسيم سيبويه لمخارج أصوات العربية عرضت المادة التي صحّت عليها المخالفة في المبحثين.

وبعد الانتهاء من الدراسة الصرفية تأكد لي أنّ الموضوعَ لا يمكن أنْ يُبحثَ بحثاً علمياً دقيقاً من دون التعرض لوجوهه الصوتية، وهذا في الحق هو ما تقررهُ الدراسات اللغوية الحديثة التي تدعو الى أنْ تأخذَ الدراسة الصرفية في الحسبان الجانب الصوتي للظاهرة المدروسة فدرستُ المخالفة دراسة صوتية، وضمنتُ الفصلَ دراسةً لأهم النتائج التي انتهيتُ إليها.

وختمتُ الدراسةَ بخاتمة تطرقتُ فيها الى أبرزِ النتائجِ التي كشفَ عنها البحث ثـم جريدة مفصلة باسماء المصادر والمراجع التي اعانتني على هذا البحث.

وإني لأرجو أن يكونَ هذا الجهد المتواضع حافزاً للهمم وهادياً للباحثين في الدراسات الصرفية والصوتية الحديثة فجل مبتغاي أن يُدرجَ هذا العمل في مسارِ التيار العلمي المعاصر الذي يطلُّ على تراثِ العرب ولغتهم برؤية موضوعية حديثة، فعسى أن أكون قد وفقتُ في مسعاي، وما التوفيق إلا بالله.

وحسبي أنْ أكونَ قد أخلصتُ في البحث وسعيتُ بكلِّ ما أستطيعُ الى تمامه، وهذا يخففُ عني عناء البحث وصعوبة المسلك، فان أكُ أصبت، فالخير أردت، والله تعالى أسأل أنْ يجعلهُ خالصاً لوجههِ الكريم، وأنْ ينفعني به وبدعاءِ من نظرَ فيه (يومَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بنُون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم).

د. هيام فهمي
ربيع الاول ١٤٢٦هـ
آيار ٢٠٠٦م

التمهيد

(التغير في السلسلة المنطوقة)

الكلام الانساني مؤلف من وحدات صوتية صغرى غير قابلة للتحليل وإنْ كانت قابلة للتنويع، وقد أُصطلح على تسمية هذه الوحدات الصغرى: الصوتيات (Phonemes) وأُصطلح على تسمية التنويعات: التصويتات (Allophones) وتتوالى الصوتيات في الكلام على صورة سلسلة، فصور التأثير يمكن أنْ نراها في الكتابة الصوتية، فنقول مثلاً: أقبل أخي:

/ ء ـَ ق / ب ـَ / ل ـَ / ء ـَ / خ ـِ /

والصوتيات المتجاورة يؤثر بعضها في بعض، فيؤثر الصوت الثاني في الأول كما يؤثر الصوت الأول في الثاني ذلك أن بعض الصوت الثاني قد يتولد قبل انتهاء الصوت الاول أحياناً، كما أنّ الخبرة السابقة لدى المتكلم تجعله يظهر تأثر الصوت الأول بالثاني قبل أنْ ينطقَ.

وإنْ شئت قلت وفقاً لنظرية النحو التوليدي إنّ الجملة العميقة تقع فيها التغييرات ثم تنقل الى البنية السطحية بأصوات لغوية أُجري عليها فعل التأثير والتأثر [1].

ومن تأثير الأصوات اللغوية بعضها ما يقع لصوت النون الساكنة إذا جاورت الباء مثلاً فنقول في جمع نبأ أنباء، بالميم، أي: أمياء مظهرين أثر الباء قبل نطقها وذلك طلباً للتقارب، ومن ذلك أيضاً جعل الدال تاء في (وقَدْ تعلمون)[2] طلباً للتماثل إلى غير ذلك من صور التأثير والتأثر.

وقد وقفَ دارسو الأصوات في الغرب عند هذا اللون من التعامل الصوتي وأطلقوا عليه مصطلح (assimilation) وترجمهُ عددٌ من الدارسين بلفظ

---

(١) ينظر (الدرس اللساني الحديث وسلامة العربية) محاضرات للدكتور حسام سعيد النعيمي على طلبة الماجستير لسنة ١٩٨٨.

(٢) الصف ٥.

المماثلة[1] ،ودرسه علماؤنا تحت مصطلح الادغام بصورة عامة. والمماثلة (أن يستبدلَ المتكلمُ بالحرفِ المخالف للحرف المجاور له حرفاً يجانسهُ ويماثلهُ في الصوت، كما.... في: اصطبر، وازدجر، وأضرابهما، فالحرف المجهور يحول المهموس الى مجهور مثله، والحرف المطبق يحول غير المطبق الى مطبق، وهكذا سواء أكان التأثير تقدمياً أم رجعياً [2].

(فالعلماء ينظرون الى المماثلة على أنها قوة سالبة في حياة اللغة، لأنها ترمي الى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلما أمكن، ويتخيلون أنه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فربما انتهت إلى الغاء التفريق بين الفونيمات ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم، وبهذا فإنَّ عامل المخالفة يستعمل لاعادة الخلافات التي لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية) [3].

إذن وقفَ دارسو الأصوات المحدثون عند ظاهرة أخرى من ظواهر التعامل الصوتي مقابلة لظاهرة المماثلة وهي ظاهرة المخالفة وذلك بأن يتحول المتكلم بالصوت اللغوي الذي تكرر في الوحدة الدلالية الصغرى إلى صوت آخر تخلصاً من التكرار من ذلك قول العرب (اخضوضر) في (اخضرضر)، حيث قُلبتْ الراء الأولى واواً منعاً لتكرر النطق براءين [4]، ولفظة (purple) الانجليزية ومعناها (أرجوان أو أُرجواني) كان أصلها اللاتيني (purpur) – براءين [5]، فأبدلت الانكليزية الراء الثانية لاماً تجنباً لتكرر النطق بالراءين في هذه اللفظة، ولما اجتمع عندهم أمثلة عديدة سواء منها اللغات الحية أو القديمة كالآشورية

---

(١)ينظر: الاصوات اللغوية، ص ١٠٦، ودراسة الصوت اللغوي، ص ٣٣٢، والمنهج الصوتي للبنية العربية، ص ١٦٨.

(٢)الواضح في النحو والصرف، ص ٢١، وينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ٢٣/١.

(٣)دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٣٠.

(٤)ينظر التطور النحوي، ص ٢١.

(٥)ينظر معجم علم اللغة النظري، ص ٧٧، وعلم الاصوات العام، ص ٩٥.

جعلوها ظاهرة صوتية أطلقوا عليها مصطلح (dissimilation) وترجمها عدد من الدارسين بلفظ المخالفة [١].

وقد كان علماء العربية أشاروا إلى ما يندرج في هذه الظاهرة فسيبويه يورد بعض أمثلتها في شواذ البدل لكراهية التضعيف وينص على أنه ليس بمطرد نحو تَسَرَّيْتُ وتَظَنَّيْتُ [٢]، ويفصّل المبرد ذلك بقوله: (وتُبدل مكان أحد الحرفين إذا ضوعفا في مثل قولك: دينار، وقيراط. فإنما الأصل تثقيل النون والراء، ألا ترى أنهما إذا افترقا ظهرا، تقول: دنانير وقراريط، وكذلك تقول: أمللتُ وأمليتُ، وتقضَّيتُ من القضَّة، وتَسَرَّيتُ والأصل تسرَّرْتُ، وتَقَضَّضْتُ)[٣].وتجدرُ الإشارة الى أنَّ عدداً من الباحثين استعمل كلمة (القانون) للمخالفة [٤]، وآخرين استعملوا كلمة (الظاهرة)[٥]. ويتجه لنا أنّهُ من الأصلح استعمال مصطلح (الظاهرة)، لسعة معناها، كما أنّ مصطلح (القانون) أكثر انسجاماً مع العلوم الطبيعية والكيميائية، أما الاصوات فأنَّ الصوتَ يتطورُ الى صوتٍ أخر، في مدةٍ معينة وفي لغةٍ معينة، وتحتَ ظروفٍ معينةٍ، والدكتور رمضان عبد التواب استعمل مصطلح (القانون الصوتي)، لكنه قال: (يجب أن يُؤخذَ مصطلح "القانون الصوتي" بمعناه الواسع لا بمعناه الدقيق، كما في ميادين العلوم الطبيعية والكيميائية وما شابهها من العلوم)[٦].

---

(١)ينظر التطور اللغوي، ص ٣٧، والأصوات اللغوية، ص ١٣٩، والواضح في النحو والصرف، ص ٢١.

(٢)ينظر الكتاب ٢/ ٤٠١.

(٣)المقتضب ١/ ٦١ – ٦٢.

(٤)ينظر: التطور اللغوي، ص٣٧، والواضح في النحو والصرف، ص ٢١، ودراسات في اللغتين السريانية والعربية، ص ٣٦، وفي البحث الصوتي عند العرب، ص ٨٤.

(٥)ينظر دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٣٠، وعلم الأصوات العام، ص ٩٥، واللغة والمجتمع، ص٨٧–٨٨.

(٦)التطور اللغوي، ص١٤.

وأودُ أنْ اشير في هذا الموضع الى بعض الخلط الذي وقع في مفهوم المخالفة، فجان كانتينو قال: (وهنالك بعض الأمثلة أُبدلَتْ فيها الشين تبايناً، من ذلك قولهم أحياناً: "قِلْدة" عوض "قِشْدة" وهي عشبة كثيرة اللبن ويرجع هذا التباين فيما يُحتمل الى العهد الذي كانت للشين الحالية فيه صفة الانحراف) [1].

وقال أيضاً: (ويكون التباين في الكلمة الواحدة أو في جزء واحد من الجملة إذا كانت اللام مجاورة لراء أو لنون أو لميم أو للام آخرى، فاذا كانت في جوار الراء أُبدلت تبايناً نوناً أو ميماً (إذا كان بعد الميم حرف شفوي) من ذلك قولهم: في كثير من اللهجات الشرقية: "بَنُور" (bennūr) عوض بلُور الفصيحة، وقول أهل تونس، "جُبْرَائِين" (žubrāʾīn) عوض "جَبْرَائِيل"، وقولهم في أكثر اللهجات السورية الفلسطينية:امْبارَحْ[*] (embareh) عوض"البَارِح" في الفصحى، وإذا كانت اللام بجوار النون أو الميم أُبدلَتْ تبايناً إما نوناً وإما راءً، نحو قولهم في كثير من اللهجات "اسْماعِيْن" (Ismāʿīn) عوض "اِسْماعِيل" و"مِيخَائِين" (Mīḫāʾīn) عوض "ميخائيل"، إلا أنَّ أهل اللهجة العراقية يقولون: قُنْصُر (Qonsur) في قنصل من الفرنسية Consul) [2]، فيظهر واضحاً من هذين النصين أنَّ كانتينو حدث عنده خلط بين مفهوم المخالفة والابدال؛ لأنَّ المخالفة إبدال لكنه مشروط بوجود حرف مماثل في الكلمة سواء كان مجاوراً له كقولهم: انجانة في: اجّانة، أو مفصولاً عنه، كقولهم: بغدان في: بِغداد، وهذا الشرط غير مطلوب في الابدال.

أما المستشرق الألماني بروكلمان فالخلط عنده حدث بشكل آخر فمما ذكره تحت عنوان "المخالفة": (وفي العبرية: lūn "بات" مأخوذة من: layl "ليل". وفي الأبنية ذات المقاطع المكررة (مضعف الرباعي)، يُحذف الصوت المائع من المقطع الأول، مثل:

---

(١)دروس في علم أصوات العربية، ص ٩٨. وترجم صالح القرمادي كلمة (dissimilation) بـ(تباين)، ينظر ص ٢١٠ من كتاب كانتينو

(*) رمز (e) عنده مقابل صوت الإمالة القصيرة ويبدو أنَّ المترجم جعل الفتحة رمزاً لذلك.

(٢)دروس في علم العربية، ص ٨٢.

Ḳilḳalōn ⟵ Ḳiḳâ lōn "عار"،

حصورصيرا ḥăṣarṣĕrā ⟵ ḥăṣōṣĕrā "نفير" [1]

فحذف صوت / L / الأُولى من المثال الأول، وحذف صوت / r / الأُولى من المثال الثاني، وقال أيضاً:

(وكذلك الحال في الآرامية: Šelšaltā ⟵ Šēšltā "سلسلة".

Ḳenḳĕnā ⟵ Ḳēḳĕnā "محراث") [2].

فحذف صوت/ L / الأُولى من المثال الأول، وصوت/ n / الأُولى من المثال الثاني.

فأدخلَ بروكلمان الحذف في المخالفة، وأدخلَ كانتينو البدل فيها.

أما احمد حسين شرف الدين من اليمن فخلط بين المخالفة والقلب المكاني، حيث قال: من أمثال المخالفة: يان: أين في لهجة تهامة والشام.

نعلَ: لعَنَ في لهجة صنعاء.

دعسَ: دسع في لهجة صنعاء.

قديه: قَدْهي في لهجة صنعاء [3].

ولا يخفى على القارئ أنَّ هذه الأمثلة حصل فيها قلب مكاني وليس مخالفةً. كما مثَّل احمد حسين شرف الدين للمخالفة بسُقطْ في صدق عند أهل صنعاء [4]، وأرى أنَّ الحاصلَ في المثال هو ابدال وقلب مكاني.

وفي ضوء البحث تبيّن لي أنّ المخالفة يمكن أنْ تحصلَ في ثلاث حالات:-

١- عند انتقال الكلمة من اللغة الأُم إلى إحدى اللغات المتفرعة عنها، ومثال ذلك (كلمة "شمس" فهي في السامية الأُولى: "شمش" كما في الأكادية والعبرية والآرامية. والمعروف لدى علماء الساميات أنَّ الشين في السامية الأُم، قلبت في العربية "سيناً"، وهذا من التغييرات التاريخية.... ومقتضى

---

(١)فقه اللغات السامية، ص ٧٤.

(٢)فقه اللغات السامية، ص ٧٤، وينظر ص ٧٥، ٧٧.

(٣)ينظر لهجات اليمن قديماً وحديثاً، ص ٥٨.

(٤)ينظر المصدر نفسه، ص ٥٨.

ذلك أنْ تصير الكلمة في العربية "سمس"، غير أنّ المخالفة بين السينين، أدت الى قلب الأولى شيئاً) [١].

٢- أو عند انتقال الكلمات من لغةٍ إلى آخرى، كما حصل في كلمتي "سنبلة" و"قنفذ" في العربية، على فرض أنّ العبرية وافقت اللغة الأم، "فَسُنْبُلَة" يوافقها في العبرية "شِبُّلِتْ" "šibbōlet"، وحصل تنافر بين صوتي/ ب/ المشددة فقُلِبَتْ الباء الأولى منهما إلى صوت/ ن/ في العربية. و"قُنْفُذْ" في العربية يوافقها في العبرية"قِيُّودْ" Kippōd" وحصل تنافر بين صوتي/ پ/ المشددة وتحول الصوت الأول منهما إلى صوت/ ن/، في العربية [٢]. واذا فرضنا أنّ العربية هي التي وافقت اللغة الأم، وجعلنا الأصل "سنبلة" آلت الى"شِبُّلِتْ" فيكون المثال شاهداً للمماثلة وليس للمخالفة وتحول صوت/ ن/ في سنبلة الى صوت/ ب/ ثم أُدغِمَ في"شِبُّلِتْ" وعلى هذا الفرض أيضاً يتحول صوت/ ن/ في "قُنْفُذْ" إلىصوت/ پ/ ثم يدغم في "قِيُّودْ".

٣- أو عند انتقال الكلمة في داخل اللغة الواحدة، مثال ذلك في العربية قولهم: الرُّزُّ والرُّنُزُّ، وهما لغتان في الأرُزِّ [٣]، وعلوان الكتاب في عنوان الكتاب[٤].

ولسنا في هذا التمهيد بصدد تفصيل القول في هذه الظاهرة، وبيان الأصوات التي تبدل وتفسير ذلك، فهذه أمور ترد مفصلة في فصول الرسالة لا سيما القسم الخاص بالدراسة التطبيقية، كما سيرد في الفصول الثلاثة الأولى ايضاح ما أوردناه مفصلاً بشأن الجانب النظري لظاهرة المخالفة، والإلماح إلى دراستها في عددٍ من اللغات الحية والقديمة ودراستها في العربية.

---

(١)بحث (التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية) للدكتور رمضان عبد التواب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد الخمسون – الجزء الاول، ص ١٦٤.

(٢)ينظر: دروس في علم أصوات العربية، ص ٤٦، والتطور اللغوي، ٣٨.

(٣)ينظر: لسان العرب، مادة (رزز) ١/١١٦٠.

(٤)ينظر: الابدال ٢/٣٩٧.